بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى شهدت الكائنات بوجوده، وشمل الموجدات عميم كرمه وجوده، ونطقت الجمادات بقدرته، وأعربت العجماوات[1] عن حكمته، وتخاطبت الحيوانات بلطيف صنعته، وتناغت الأطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتغريده، كلّ باذل جهده، وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده، بل المكان ومن فيه، والزمان وما يحويه من نامٍ وجامدٍ، ومشهودٍ وشاهدٍ تشهدُ بأنه اله واحد منزه عن الشريك والمعاند، مقدس عن الزوجة والولد والوالد، مبرأ عن المعاند والمنادد[2]، مسبح بأصناف المحامد .

أحمده حمداً تنطق به الشعور والجوارح، وأشكره شكرا يصيد نعمه صيد المصيد بالجوارح، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب أودع أسرار ربوبيته فى بريته، وأظهر أنوار صمديته فى جوانى بحره وبريته، فبعضٌ يعرب بلسان قاله، وبعض يعرب بلسان حاله، تسبحه السماوات بأطيطها[3]، والأرض بغطيطها[4]، والأبحر بخريرها، والأسد بزئيرها، والحمام بهديرها، والطير بتغريدها، والرياح بهبوبها، والبهائم بهبيبها، والهوام بكشيشها[5]، والقدور بنشيشها[6]، والخيل بضبحها، والكلاب

---

(١) العجماوات مفردها، عجماء: البهيمة .

(٢) المخالف .

(٣) الأطيط: الصوت والحنين، والمعنى: أن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلتها حتى أنقضتها.

(٤) الغطيط: صوت غليان القدر، والمعنى: الصوت الناتج من الأرض عند الزلازل والبراكين .

(٥) الهوام: مفردها هامة، وهى كل ما كان له سم كالحية، وكشيشها: صوتها .

(٦) النشيش: صوت الماء وغيره إذا غلىً .

بنبحها، والأقلام بصريرها[1]، والنيران بزفيرها، والرغود بعجيجها[2]، والبغال بشحيحها[3]، والأنعام برغائها، والذباب بطنينها[4] والقسى برنينها، والنياق بحنينها. كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه، ولازم فى ذلك غبوقه وصبوحه، وعمروا بذلك أجسادهم وأرواحهم، ولكن لا تفقهون تسبيحهم .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله؛ الذى من صدقه تم سوله، أفضل من بعث بالرسالة، وسلمت عليه الغزالة[5]، وكلمه الحجر[6] وآمن به المدر، وأنشق له القمر[7]، ولبت دعوته الشجر[8]، وأستجار به الجمل، وشكا إليه

---

(١) الصرير: الصياح من العطش، والمعنى: صوت احتكاك القلم بالورق عندما يجف منه المداد .

(٢) الرغود، مفردها الرغد: سعة العيش. والعجيج: رفع الصوت. وقصد: المواشى عند رفع صوتها .

(٣) الشحيح: ارتفاع الصوت، وأراد ارتفاع صوت البغال .

(٤) الطنين: صوت الذباب .

(٥) إشارة إلى حديث ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٤/٤) وعزاه لأبى نعيم فى دلائل النبوة، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ فى حجر من الأرض إذا هاتف يهتف: ((يا رسول الله ....الحديث)) .

(٦) كلام الحجر للنبى ﷺ حديث أخرجه الترمذى: كتاب المناقب، باب فى آيات إثبات نبوة النبى ﷺ وما قد خصه الله عز وجل (٣٦٢٤) ولفظ الحديث ((إن بمكة حجراً كان يسلم علىَّ ليالى بعثت، إنى لأعرفه الآن)) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر:١]. والأحاديث فيه متواترة .

(٨) إيمان الشجر بالنبى ﷺ، حديث أخرجه الترمذى: كتاب المناقب، باب إثبات نبوة النبى ﷺ وما قد خصه الله عز وجل (٣٦٢٦) بلفظ: عن على ابن أبى طالب قال: كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله .... الحديث .

شدة العمل[١]، وحن إليه الجذع[٢]، ودر عليه يابس الضرع[٣]، وسبحت فى كفه الحصاء[٤]، ونبع من بين أصابعه الماء[٥] وصدقه ضب البرية[٦]، وخاطبته الشاة المصلية[٧] صلى الله عليه صلاة تنطق بالإخلاص وتسعى لقائلها بالخلاص، وعلى آله أسود المعارك وأصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما .

أما بعد، فإن اللّه المقدس فى ذاته، المنزه عن سمات النقص فى صفاته؛ قد أودع فى كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته، ومن الحكم والعبر مالا يدركه البصر، ولا تكاد تهتدى إليه الفِكَر، ولا يصل إليه فهم ذوى النظر، ولكن بعض ذلك، للبصر بالرصد ظاهر يدركه كل

(١) حديث الجمل، أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد باب (٤٤) وفيه: «... فلما جمل فلما رأى النبى ﷺ حن وذرفت عيناه ....» .

(٢) حنين الجذع للنبى ﷺ، حديث أخرجه البخارى: كتاب المناقب، باب آيات إثبات نبوة النبى ﷺ (٣٦٢٧) وفيه «...فحن الجذع حنين الناقة .... الحديث» .

(٣) إشارة إلى حديث ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٦/٤) وعزاه لأبى نعيم فى دلائل النبوة .

(٤) تسبيح الحصى، حديث ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١٣٨/٤) وعزاه للبيهقى فى الدلائل، وفيه «فأخذهن فى كفه، فسبحن حتى سمعت لهم حنيناً...» .

(٥) نبع الماء من بين يديه ﷺ، حديث أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب معجزات النبى ﷺ (٤) عن أنس بن مالك قال: «... فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه» .

(٦) إيمان الضب، حديث ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (١٥٦/٤) وعزاه للبيهقى فى الدلائل وفيه :فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب، فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة .... الحديث» .

(٧) حديث الشاة المصلية، أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣١٥/٥) فى باب ما جاء فى بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه؛ أنه ممن شهد العقبة من الأنصار -بنى سلمة- وهو أكل مع رسول اللّه ﷺ من الشاة التى سم فيها يوم خيبر وقال: رواه الطبرانى مرسلاً وإسناده حسن .

أحد، قال الله تعالى، وجل ثناؤه جلالا ﴿وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]. وقال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الأَفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال عز من قائل فى كلامه الطائل ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ واختلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال الشاعر :

فَفِى كُلِّ شىء لَهُ آيَةٌ تَدلُ عَلَى أَنَّهُ واحِدُ

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها فى وهاد العقول والآكم[1]، وترادف ما فيها من العجائب والعبر، وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر، وعادتها النفوس، ولم يكترث بوقوعها القلب الشموس، ولم يستهجن[2] من وجودها، ولم يلتفتن إلى جدودها؛ فكثرت فى ذلك أقوال الحكماء وتكررت مقالات العلماء، فلم تصغ الأسماع إليها ولا عولت الأفكار عليها .

فقصد طائفة من الأذكياء وجماعة من حكماء العلماء، ممن يعلم طرق المسالك إبراز شىء من ذلك على ألسنة الوحوش، وسكان الجبال والعروش، وما هو غير مألوف الطباع من البهائم والسباع، وأصناف الأطيار وحيتان

---

(١) الوهد: الأرض المنخفضة. والآكام، جمع الجمع، المفرد أكم: الموضع الذى يكون أكثر ارتفاعاً. والمعنى: يعرفه أقل الناس عقلاً، فيما فوق .

(٢) أى لم يعب ويستقبح وجودها .

البحار وسائر الهوام، فيسندون إليها الكلام لتميل لسماعه الأسماع وترغب فى مطالعته الطباع؛ لأن الوحوش والبهائم والهوام والسوائم[1] غير معتادة لشيء من الحكمة، ولا يسند إليها أدب ولا فطنة، بل ولا معرفة ولا تعريف، ولا قول ولا فعل ولا تكليف؛ لأن طبعها الشماس[2] والأذى والافتراس، والإفساد والنفور، والعدوان والشرور، والكسر والتفريق، والنهش والتمزيق، فإذا أسند إليها مكارم الأخلاق، وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والوفاق، وسلكت وهى مجبولة على الخيانة سبل الوفاء، ولازمت وهى مطبوعة على الكدورة[3] طرق الصفاء، أصغت الآذان إلى استماع أخبارها، ومالت الطباع إلى استكشاف آثارها، وتلقتها القلوب بالقبول، والصدور بالانشراح، والبصائر بالاستبصار، والأرواح بالارتياح؛ لكونها أخبارا منسوجة على منوال عجيب، وآثارا أسديت لحمتها[4] فى صنع بديع غريب؛ لاسيما الملوك والأمراء، وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء، وأبناء الترفة والنعم، وذوى المكارم والكرم، إذا قرع سمعهم قول القائل صار البغل قاضيا، والنمر طائعا لا عاصيا، والقرد رئيس الممالك، والثعلب وزيرا لذلك، والدب مؤرخا أديبا، والحمار منجما طبيبا، والكلب كريما، والحجل[5] نديما، والغراب دليلا، والعقاب خليلا، والحدأة صاحبة الأمانة، والفأرة كاتبة الخزانة، والحية راقية، والبومة ساقية، وضحك النمر متواضعا، وغدا الأسد لإرشاد الذئب سامعا، ورقص الغزال فى غرس القنفد، وغنى الجدى، فطرب

---

(١) السوائم، مفردها سائمة: الإبل الراعية .

(٢) أى صعوبة ترويضها .

(٣) عدم نقاء وتعكر مزاجها .

(٤) السداة: الخيط الرأسى للقماش، واللحمة الخيط الأفقى، وهما معاً يكونا النسيج .

(٥) طائر فى حجم الحمام .

الجدجد[1]. وتصادق القط والجرذان، وصار السرحان[2] راعى الضان، وعانق الليث الحمل والذئب الجمل، ورفع الباشق[3] الحمامة على رقبته وحمل؛ ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم، وانشرحت خواطرهم، وسرت سرائرهم، وأصغت إليه أسماعهم، ومالت إليه طباعهم، وأدى طيشهم إلى أن طاب عيشهم .

ولكن أهل السعادة وأرباب السيادة ومن هو متصد لفصل الحكومات والذى رفعه الله الدرجات، فانتصب لإغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمنتبهون بتوفيق الله تعالى لدقائق الأمور، وحقائق ما تجرى به الدهور، إذا تأملوا فى لطائف الحكم، والفرائد التى أودعت فى هذه الكلم، ثم تفكروا فى نكت العبر وصفات العدل والسير والأخلاق الحسنة، والقضايا المستحسنة المسندة إلى مالا يعقل ولا يفهم، وهم من أهل القول الذى يشرف به الإنسان ويكرم، يزدادون مع ذلك بصيرة، ويسلكون بها الطرق المنيرة؛ فتتوفر مسراتهم وتتضاعف لذاتهم .

وربما أدى بهم فكرهم وانتهى بهم فى أنفسهم أمرهم؛ أن مثل هذه الحيوانات مع كونها عجماوات إذا اتصفت بهذه الصفة وهى غير مكلفة، وصدر منها مثل هذه الأمور الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة، فنحن أولى بذلك، فيسلكون تلك المسالك .

وقد ضرب الله ذو الجلال فى كلامه العزيز الأمثال فقال ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤١].

(١) حشرة تشبه الجراد .

(٢) السرحان: أحد أسماء الذئب .

(٣) من الطيور الجارحة، وهو صغير الحجم .

وقال سبحانه بعد ذلك ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال سبحانه ما أعظم شأنه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاستَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وإِن يَسْلبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَستَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال تعالى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِن فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩] .

وقال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ والجبالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. أسند سبحانه وتعالى الأفعال والأقوال إلى الجمادات بعدما وجه الخطاب إليها .

وقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالْشَمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

وكل ما جاء في هذه الطريقة فأنه بالنسبة إليه تعالى حقيقة؛ لأنه قادر على كل شيء، وسواء عنده الميت والحي، ولا فرق في كمال قدرته بالنظر إلى قدرته ومشيئته، وتصوير كمال عظمته وهيبته بين الناطق والصامت، والنامي والجامد، والشاهد والغائب، والآتي والذاهب. كما لا فرق في هذا الكمال بين الماضي والاستقبال .

وقال تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

وقال ﴿فوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧].

وقال تعالى ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]. وقال فى الهدهد فقال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢].

وقال الشاعر: ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب[1] .

وقالت العرب فى أمثالها: قال الجدار للوتد: لِمَ تشقى ؟ قال: سل من يدقنى، قل لمن ورائى يتركنى ورائى.

وقالوا: أكرم من الأسد .

ومن أشهر أمثالهم، قالوا: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا إلى الضب، فقالت الأرنب: يا أبا الحصين، قال: سميعا دعوت. قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكيما. قالت: اخرج إلينا، قال: فى بيته يؤتى الحكم. قالت: إنى وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها. قالت : فاختلسها منى الثعلب، قال: لنفسه بَغَىَ الخير. قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت. قالت: فلطمنى، قال: حُرٌ انتصر لنفسه. قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت. فذهبت هذه الأقوال كلها أمثالا .

وقالوا: تحككت العقرب بالأفعى .

وقال الشاعر:

قام الحمام إلى البازى يهدده واستصرخت بأسود البر أ أضبعه

وهذا أمره مستفيض مشهور، معروف بين الأنام غير منكور، والحصر فى هذا المعنى يتعسر، والاستقصاء يتعذر، وإنما الأوفق التمثيل

---

(١) الحقائب مفردها، حقبة: الفترة الطويلة من الزمن، والمعنى: إذا لم يثن عليك الناس فسوف تخلد الأيام ذكراك .

والتنظير والاستدلال بالقليل على الكثير، فيتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى، ويتنقل فى ذلك من الأخفى إلى الأجلى، ويتوصل بالتأمل فى معانيه من الأدنى إلى الأعلى .

ومن جملة ما صنف فى ذلك، واشتهر فيما هنالك وفاق على نظائره بمخبره ومنظره، وحاز فنون الفطنة: (كليلة ودمنة). والمتمثل بحكمة الطباع. كتاب: (سلوان المطاع). والمفحم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب؛ معجز الضراغم[1] الصادح[2] والباغم[3] ، وفى غير لسان العرب ممن يتعاطى فن الأدب جماعة رضعوا أفاويقه ، وسلكوا من هذا النمط طريقه، لكن تقادم عصرهم، واشتهر أمرهم، وتكرر ذكرهم، وصارت مصنفاتهم مطروقة وعتاق نجائبها[4] فى ميدان التأمل عتيقة؛ ففلذت من دهرى فلذة، وعملت بموجب لكل جديد لذة، وسيرت فارس الأفكار فى ميدان هذا المضمار، وقصدت من الفائدة ما قصدوه، ومن العائدة فى الدارين ما رصدوه، وجمعتُ ما بلغنى عن نقلة الأخبار وحملة الآثار ورواة الأسفار، على لسان شيخ اللطائف ومنبع المعارف، وإمام الطوائف ومجمع العوارف ذى الفضل والإحسان أبى المحاسن حسان .

ووضعت هذا الكتاب نزهة لبنى الآداب، وعمدة لأولى الألباب من الملوك والنواب والأمراء والحجاب، وجعلته عشرة أبواب، ومن الله أستمد الصواب وأستغفره من الخطأ فى الجواب، إنه رحيم توّاب كريم وهاب. وسميته: **(فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء)**.

---

(١) الضراغم: مفردها، ضرغام، وهى من صفات الأسد الدالة على الشجاعة والفحولة

(٢) الصادح: رفع الصوت .

(٣) الباغم: ترخيم الصوت .

(٤) عتاق نجائبها: أى الفاضل النفيس فى نوعه .

شعر :

فإن يفضْ بحرُ عِلْمي تهدْ منْهُ على ... در يُنِيرُ عيونَ العَقْلِ في السُّدَف[1]

ألبسته من خلاعات النهى خلعا ... وربما ازدان عقد الدر بالخزف

والفضل يحتاج في ترويج سلعته ... إلى الخرافة والمعقول للخرف

فاعبر إلى البحر تجن الدرمنه ولا ... يلهيك عن دره أضحوكة الصدف

الباب الأول: فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب.

الباب الثانى: فى وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم.

الباب الثالث: فى حكم ملك الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك .

الباب الرابع: فى مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان .

الباب الخامس: فى نوادر ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع .

الباب السادس: فى نوادر التيس المشرقى والكلب الأفريقى .

الباب السابع: فى ذكر القتال بين أبى الأبطال الريبال وأبى دغفل سلطان الأفيال .

الباب الثامن: فى حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد .

الباب التاسع: فى ذكر ملك الطير العُقاب والحجلتين الناجيتين من العِقاب.

الباب العاشر: فى معاملة الأعداء والأصحاب وسياسة الرعايا والأحباب.

وفيه: نُكَتٌ، وأخبارٌ، وتواريخُ أخيار وأشرار .

---

(١) السدف، مفردها سدفة: الظلمة .